مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية
ISSN: 2352-975X ELBAHITH for Academic Studies EISSN: 2588-2368
المجلد: 10 / العدد: 01 / السنة: 2023 / ص ص: 400 - 415

العودة الروسية إلى المسرح الدولي من منظور جيوبوليتيكي إيديولوجي

Russia's return to the global landscape, an ideological-geopolitical perspective

تاريخ الإرسال: 2022/07/13 تاريخ القبول: 2022/12/23

لوصيف عبد الوهّاب* LOUCIF Abdeloueheb
جامعة خنشلة University of khenchela
Loucif.abdelouaheb@univ-khenchela.dz

ملخص:

تحاول هذه الدراسة تسليط الضوء على العودة الروسية إلى المسرح الدولي، من جانبها الايديولوجي والجيوبوليتيكي، وذلك بالتطرق إلى مفهوم الاوراسية الذي تبنته النخبة الحاكمة في روسيا وذلك بتقديم هذا المفهوم من خلال دلالاته الايديولوجية والفلسفية والحضارية اضافة إلى رؤيته للعلاقة مع مختلف المفاهيم والاطروحات الغربية ذات الصلة، وكيفية التعامل مع هذه المفاهيم في ظل الصراع التاريخي والكلاسيكي بين المنظومة الشرقية والغربية ومحاولة كل منظومة الظفر بالسيطرة والقيادة على المسرح العالمي.

الكلمات المفتاحية: الجيوسياسية؛ الأوراسية الكلاسيكية؛ الأوراسية الجديدة؛ الإيديولوجيا.

Abstract:

This study focuses on the Russian return to the international relations Interactions,f rom an ideological and geopolitical side, by addressing the concept of Eurasianism adopted by the ruling elite in Russia, and presenting this concept through its ideological, philosophical and civilizational connotations, in addition to his vision of the relationship with various related Western concepts and theses, and how to deal with these concepts in light of the historical and classic conflict between The eastern and western system and the attempt of each system to gain control and leadership on the global scene.

Keywords: *Geopolitics; classical-Eurasian; Neo-Eurasian; Russian;Ideology.*

* - المؤلف المُراسل.

مقدمة:

يعد تفكك الإتحاد السوفياتي من أبرز التحولات التي شهدتها البيئة الاستراتيجية الدولية في العقد الأخير من القرن العشرين، لقد كان لضخامة الحدث وما ترتب

عليها من تغيير جوهري في شكل ومضمون البيئة الإستراتيجية والجيوبوليتيكية والنظام الدولي وآليات عمله ومعاملات توزيع القوة والقدرة في إطاره، ليس هذا فحسب بل في شكل العلاقات الدولية القائمة ومضمونها وإدارة تفاعلاتها سلما وحربا في آن واحد، الأثر الواضح في ردة الفعل العالمية الرامية إلى إعادة النظر في الكثير من المسلمات والثوابت ضمن أدبيات السياسة الدولية.

وباعتبار روسيا الإتحادية هي وريثة الإتحاد السوفياتي المفكك من الناحية القانونية والسياسية مع تراجع مقومات القوة لديها، رغم أنها حصلت على بعض هذه القوة على الصعيد العسكري، لكنها لم تتنازل على النهج الإستراتيجي والمتمثل في دورها على الساحة الإقليمية والدولية، لإدراكها أن أي تنازل أو إنكفاء معناه تهديد مباشر ولكيان الدولة الروسية، وعلى الرغم من أن الدور الروسي كان مرتبكا وضبابيا بفعل إجراءات إعادة بناء الدولة الروسية ومواجهة المشكلات المعقدة الموروثة عن الإتحاد السوفياتي إلا أن تسلم "فلاديمير بوتن" للحكم كان إيذانا بإعادة بناء الروسية على المستويين الداخلي والخارجي وفق منظور إستراتيجي وجيوبوليتيكي ستقي أفكاره من أطروحات المدرسة أو التيار الأوراسي الجديد الناتج من الشخصية والتاريخ والحضارة الروسية وهي الإشكالية التي نود دراستها وفق التساؤل التالي: **ما هي أهم الأفكار والأطروحات الإيديولوجية الجيوبوليتيكية المفسرة للعودة الروسية إلى المسرح الدولي؟**

تفكيكا للإشكالية المطروحة نقترح التساؤلات الفرعية التالية:

1- كيف ساهم الإرث الإيديولوجي في تكوين فلسفة النخبة السياسية الحاكمة الحالية لروسيا؟

2- ماهي أهم أطروحات الأوراسية الجديدة؟

3- ما هي أهم معالم البناء الفلسفي والإيديولوجي للأوراسية الجديدة؟

4- ما هي تفسيرات الأزمة الأكرانية من خلال ما تضمنته أطروحات الأوراسية الجديدة؟

- فرضية الدراسة: تعد الأوراسية الجديدة تعبير واضح وصريح عن الهوية الجيوسياسية والجيوحضارية الروسية في مواجهة المنظومة الغربية، التي أصبحت تهدد

EISSN: 2588-2368 _____ ISSN: 2352-975X

الوجود الروسي خاصة في ظل إتجاه الناتو شرقا والإقتراب من الحدود الجغرافية للاتحاد الروسي.

- **أهداف البحث:** تهدف هذه الدراسة إلى محاولة فهم وتحليل صراعات الارادات القائمة بين روسيا الاتحادية من جهة والمنظومة الغربية من جهة أخرى، في اطار عملية اعادة توزيع القوة ومناطق النفوذ عبر العالم اعادة صياغة وهندسة النظام الدولي الحالي، القائم على الأحادية القطبية أو مايعرف بالمنظومة الغربية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، والتوجه إلى عالم متعدد الأقطاب يسمح لكل القوى بالمساهمة في صناعة واتخاذ القرار الدولي في مختلف القضايا الخلافية المطروحة على الساحة الاقليمية والدولية، بعيدا عن مختلف أساليب الهيمنة والسيطرة والاستقطاب الدولي الحاد في بعض الملفات المعقدة والمتشعبة المنتهجة من قبل الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية.

- **المقاربة المنهجية:** تنحو المقاربة المنهجية في هذه الدراسة إلى الأخذ بالتكامل المنهجي الذي أصبح تقليدا أكاديميا في مجال الدراسات السياسية بصفة عامة، والعلاقات الدولية بصفة خاصة وفق التوليفة التالية:

- المنهج التاريخي: بحيث يمدنا بكشف زمني لتطور الأحداث لهذا الموضوع المعقد والمتشعب، مع استرجاع زمني للأحداث كعوامل مساعدة على التحليل والتفسير والاستشراف.

- المنهج المقارن: يستهدف الكشف عن التفاعلات والارتباطات والسياقات المشكلة لبنية العلاقة بين روسيا والغرب.

- مقترب النسق الدولي: وهو أحد الاقترابات الفرعية، من منهج تحليل النظم ويقوم على أن النسق يتكون من مجموعة من العناصر التي ترتبط فيما بينها بنمط معين من العلاقات، وهو في حالة اتصال دائم مع بيئته من خلال آلية لضخ المدخلات اليه، ودفع المخرجات منه. ويسمح هذا الاقتراب بالتعرف بدقة على الديناميكية السياسية، ومن ثمة محاولة فهم القوانين التي تحكم أو تتحكم في حركتها.

EISSN: 2588-2368 _____ ISSN: 2352-975X

كما يسمح الاقتراب بتتبع مسار التفاعلات بين النظام القائم ووحداته الأساسية وبيئته الداخلية والخارجية، والتعرف على ما قد يطرأ على عناصر هذا النظام وتلك البيئة من تغيرات بسبب هذه التفاعلات، وينطلق هذا الاقتراب من التفكيك والمقارنة وإدراك طبيعة العلاقات وأنماط المتغيرات، ثم يساعد على إعادة تركيبها مرة أخرى بطريقة تسمح بفهم أكثر منطقية لكيفية عمل النسق من خلال هذه الدراسة.

المحور الأول: الإرث التاريخي والإيديولوجي للمدرسة الأوراسية

ترجح بعض المصادر أن مصطلح الأوراسية"Eurassianism"استخدم لأول مرة من قبل الموسوعي الألماني والرحالة العالمي "ألكسندر فون هامبولت "Alexander von Humbold" في أوائل القرن التاسع عشر وهي تعد أهم مكون من مكونات العقيدة الروسية الجديدة.

ظهرت الأوراسية أساسا في أوساط المغتربين الروس في أوائل فترة العشرينيات، وأول بيان عقائدي رئيسي لها كان عام 1921م، وهو عبارة عن مجموعة من المقالات بعنوان "الهجرة الجماعية للشرق"[1] Exodus To The east " والتي تكرر مفهوم الهوة التي لا سبيل إلى جسرها بين روسيا والغرب وحتى العداء المر بينهما، ويقدم الكاتب "كاسبر ماير" Casepar Meyer" أهداف الأوراسية الكلاسيكية بقوله: لقد وضع برنامجهم تصورا للنظام البلشفي بأنه نظام مؤقت، لكنه بمثابة المحفز الضروري الذي يمهد الطريق للدولة الأوراسية الإيدوقراطية الشاملة، لقد حتم الإتساع الجغرافي الشاسع لأوراسيا على سكانها المتناثرين هنا وهناك أن يجتمعوا تحت سلطة مركزية واحدة ويسعون على مراحل لإستعادة إمبراطورية شعبية - غارقة في القدم بأشكال تاريخية... ستكون روسيا ما بعد البلشفية تجسيدا نهائيا " للقدر الجيوبوليتيكي "الأوراسي ويتوجب أن تكون قيادتها موضع ثقة[2] من قبل أولئك الذين أعادوا تنظيم جوهر البلاد ودورها المكلل بالعناية الإلهية".

كما يذهب "ستروش هوب"، " R,Strausz-Hupe "سنة 1947إلى القول بأن" السياسة الخارجية الروسية عامل أساسي مهيمن والعامل الإستراتيجي، كانت أهدافه واضحة أثناء الحقبتين القيصرية والشيوعية، وهي تجسيد حدود إستراتيجية معينة،

EISSN: 2588-2368 _____ ISSN: 2352-975X

وقد كان المقصود من ذلك أن الحدود تقضي على المخاطر القادمة من العدو المطوق لروسيا".

وبالتالي فالجغرافيا الروسية الواسعة لعبت دورا مهما في تشكيل تجليات القوة العظمى لدى صناع القرار الروسي ودفعهم نحو التفكير بتلك الطريقة، وهو ما يظهر في الخطاب الذي ألقاه الرئيس الروسي فلاديمير بوتن بعد عامين من توليه الحكم حينما قال[3]: نحن قوة عالمية، ليس بسبب أننا نملك القوة العسكرية العظمى وقوة إقتصادية محتملة، ولكن نحن كذلك لأسباب جغرافية، سوف نظل متواجدين ماديا في أوروبا، آسيا، في الشمال والجنوب، كما أننا في كل مكان وفقا للمقتضيات والإهتمامات إضافة إلى المخاوف والهواجس الأمنية.

و يعتبر كل المنظرين بيتر نيكولايفتش سافيتسكي وألكسندر دي سفرسكي أهم رواد هذا الإتجاه بحيث تعتبر أفكارهما، أهم الأدبيات التي توصلا إليها المرجع الأساسي للدراسات الجيوبوليتيكية الروسية الحديثة.

فبالنسبة لسافيتسكي "Savitsky"، (1868-1895) فيعود له فضل إبتكار مصطلح جديد في علم الجيوبوليتيك، وهو مصطلح "بؤرة التطور"، وهذا المصطلح يمثل الشبيه الدقيق "Roum"، المجال "عند المفكر الألماني شميدث، وتنعكس في هذا المفهوم عضوانية الأوراسيين حيث كتب سافيتسكي في نصه الذي يحمل عنوان: "العرض الجغرافي لروسيا-الأوراسيا": ينبغي أن يذوب كل من الوسط الاجتماعي-السياسي والأرض بالنسبة لنا في وحدة متكاملة في شخصية جغرافية، أو سطح جغرافي... في التركيب الضروري لا بد من القدرة على الإطاحة بالوسط الاجتماعي التاريخي وبالأرض التي يشغلها في نظرة واحدة[4].

يمكن القول إنطلاقا من طروحات سافيتسكي أن فكرة بؤرة التطور تؤدي في حقيقة الأمر إلى خلق بؤر توتر، فإذا كانت الدولة ترى في مجال ما صغير، فإنه لا بد أن يدخل في نطاق شخصيتها الجغرافية، وأنه ينطوي على دخول ذلك المجال في نزاع وجودي مع تلك الدولة ويعزز التميز الإثني أو التاريخي لذلك المجال فرص واحتمالات هذا النزاع[5].

أما بالنسبة للمفكر ألكسندر سفرسكي فمعظم أفكاره وطروحاته عبر عنها في بحث بعنوان: القوة الجوية مفتاح البقاء "Air Poiwer Key ToSuviral" 1950 والذي نظر إلى الوضع الجيوبوليتيكي للعالم من خلال القوة الجوية، حيث رسم سفرسكي نموذج ذات مسقط قطبي "القطب الشمالي" ووضع فيها الأمريكيتين جنوب القطب، وأوراسيا وإفريقيا في شمال القطب، وعلى هذا فإن تقسيم سفرسكي هو التقسيم المتعارف عليه: العالم القديم والعالم الجديد(6)، في هذا النموذج يتضح أن السيادة الجوية الأمريكية تشتمل على كل من الأمريكيتين، بينما منطقة السيادة الجوية السوفياتية تغطي جنوب وجنوب شرق آسيا، وإفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، لكن منطقتي النفوذ الجوي تتلاقيان وتتصادمان في مناطق أخرى هي أوروبا الغربية، وشمال إفريقيا، والشرق، فضلا عن أن نفوذ القوة الجوية الروسية تغطي أمريكا الشمالية، وبالمثل تغطي القوة الجوية الأمريكية، الهرتلاند الأورواسيوي، ومنطقة تداخل السيادتين الجويتين: البرية والبحرية تسمى في طروحات سفرسكي بـ (Area Of Decision)" فهي منطقة الحسم في أي معركة بين القوتين.

كما أن المناطق الجيوستراتيجية الأكثر أهمية في العالم، حسب تعبير سفرسكي من خلال أطروحته حول القوة الجوية بقوله: من يملك السيادة الجوية يستطيع أن يسيطر على مناطق تداخل النفوذ الجوي ومن يسيطر على هذه المناطق يصبح بيده مصير العالم(7).

المحور الثاني: الأوراسية الجديدة - أطروحات ألكسندر دوغين-

ترجح البدايات الأولى للجيوبوليتيكا الدوغينية إلى سنة 1991م حينما نشر دوغين مقالا بعنوان حرب القارات "The War oF Continents"، الذي ضمنه دوغين تصوراته الجيوبوليتيكية الكبرى للعالم، حيث وصف فيه ذلك الصراع الجيوبوليتيكي القائم آنذاك بين نمطين مختلفين من القوى الاقليمية: القوى البرية أو كما يلقبها بـ"روما الخالدة" والتي ترتكز على مبادئ مختلفة مثل: النزعة الفردية، والنزعة المادية، إضافة إلى ميزة التجارة وبحسب تصور دوغين فإن قرطاجة الخالدة: كانت تجسد تاريخها في أثينا الديموقراطية، أما اليوم فهي ممثلة بالولايات المتحدة، في حين تجسدت روما الخالدة في روسيا(8).

EISSN: 2588-2368 _____ ISSN: 2352-975X

ويعتبر كتابه "أسس الجيوبوليتيكا المستقبل الجيوبوليتيكي روسيا 1997 والذي تمثل إنجيل رواد المدرسة الأوراسية الجديدة والتوسعية، واستخدام دوغين أطروحات هالفورد ماكيندر "Halfor Mkinder" حول المعارضة الجيوبوليتيكية بين قوى البر وقوى البحر فقد جادل بأن العالمين ليس محكومين فقط باستراتيجيات أساسية متنافسة ولكنهما متعارضتان ضد بعضهما البعض ثقافيا بصورة جوهرية.فالمجتمعات البرية تنجذب إلى أنظمة قيم وتقاليد مطلقة بينما البحرية منها هي ليبيرالية بطبيعتها.

أما الجهة الإستراتيجية يقترح دوغين بأن التحالف المناهض للغرب بين روسيا اليابان وألمانيا وإيران، المرتكز على رفضهم المشترك للغرب سيكون قادرا على إزالة التأثير الأمريكي من القارة.

1- دوغين والنظام العالمي الأوراسي الجديد: يجادل دوغين ويرافع من أجل نظام عالمي مستقبلي أوراسي جديد والذي يعتبره نموذجا أوراسيا حديثا وأكثر تطورا وتعقيدا مركزا على قيامه على جبهتين:

أ- الجبهة الداخلية: وضع دوغين تصورا خاصة بالإمبراطورية الأوراسية الجديدة، والتي تشكل الصيغة الواحدة للوجود الأدق والطبيعي للشعب الروسي والإمكانية الوحيدة للوصول برسالته التاريخية والحضارية إلى أبعد مداها والتي ترتكز على الآتي:

- لا ينبغي للإمبراطورية القادمة أن تكون دولة -جهوية، ولا دولة- أمة لتجنب التناقضات الجيوبوليتيكية التي لا حل لها.

- ضرورة أن تقام الإمبراطورية الجديدة دفعة واحدة كإمبراطورية ويجب أن ترسي المبادئ الإمبراطورية الكاملة الأهلية والمتطورة في أساس مشروعها من الآن.

-الملامح الجيوبوليتيكية والإيديولوجية لإمبراطورية الروس الجديدة يجب أن تتحد على أساس التخلص من تلك اللحظات التي أدت من الناحية التاريخية إلى إفلاس وإنهيار الصيغ الإمبراطورية السابقة، لذلك يجب أن تكون حسب الباحث متميزة بنية إثنية- دينية تعددية مرنة[9].

. أن يتم إضفاء المرونة على مشاركة الدولة في توجيه الاقتصاد، وشحن المعادلة الدينية- القيصرية، بالمضمون المقدس وتحقيق ثورة أرثودكسية محافظة.

ب- الجبهة الخارجية: قدم دوغين نظاما جيوبوليتيكيا عالميا يرتكز على إرتباطه بمناطق- كلية دعاها دوغين بالأحزمة الجيو-اقتصادية وهي: الأورو- افريقية وآسيا، والمحيط الهادي، وأمريكا وأوراسيا.

يقترح دوغين تأسيس تعددية المراكز "Polycentricity" باعتباره النمط السائد للقوة الجيوبوليتيكية على المستوى العالمي، فالهدف الأسمى للأوراسية القضاء على تهديد الهيمنة الامريكية على العالم لن يتحقق إلا من خلال تحالف ثلاث محاور كالآتي:

- محور برلين- موسكو- باريس.
- محور موسكو- طهران وهو محور خاص بآسيا الوسطى.
- محور موسكو- طوكيو ومحور خاص بشرق آسيا[10].

لقد آمن دوغين " بالأوراسية الجديدة " باعتبارها عقيدة تحمل خلاص لكل المشكلات التي تعاني منها روسيا، بل خلاصا للإنسانية من كل مشكلاته، نفس الشكل الذي آمن به أتباع الماركسية أو الماوية...إلخ، بل إدعى أن الأوراسية الجديدة ستكون العقيدة القائمة في المستقبل، التي ستجعل من روسيا قوة عظمى، ومع هذه النبؤة آمن دوغين أن الأوراسية الجديدة ينبغي أن تكون بمثابة الأنوار الشمالية للرئيس بوتن ومساعدوه، التي ستساعده جنبا إلى جنب مع القادة العالميين على صياغة إمبراطورية أوراسية وتشكيلها[11].

المحور الثالث: المعالم الفلسفية والايديولوجية لأوراسيا الجديدة

ينطلق دوغين في كتابه بعنوان: النظرية السياسية الرابعة، من فرضية أساسية تتمحور حول إخفاق المشروع الحداثي الغربي والمصير المأساوي الذي أنتجته إيديولوجيا الثلاث الرئيسية: الليبيرالية، الشيوعية والفاشية التي لم تتمكن من تحقيق مراد الإنسان من الرفاهية والسلام، حيث رفعت اللبيرالية الإنسان إلى الإغتراب وجعلت منها الولايات المتحدة الأمريكية أداة لتحقيق مشروعها الإحتكاري العالمي، وفي الجهة

EISSN: 2588-2368 _____ ISSN: 2352-975X

المقابلة عرفت الشيوعية أزمة في مشروعها وانقسامات على أساس دوغماني وغياب أفق للمستقبل.

أما الفاشية أو النازية فلم تكن إلا نزعة دولاتية محضة، فقد عملت على تعبئة المكونات الاجتماعية لخدمة جهاز الدولة، لهذه الأسباب سعى دوغين إلى صياغة فلسفة مثالية جسدتها نظريته السياسية الرابعة التي تؤمن بعالم تعدد وأخلاقي، عالم يعترف بالشعوب الأخرى وبحريتها، بعيدا عن قيم المركزية الغربية، وجعل من ذلك عالما ممكن التجسيد إذا ما تمكنت روسيا من إنتاج إيديولوجيا خاصة بها، تفرض بها السيادة الجيوبوليتيكية لقوى القارة الأوراسية (قوى البر، روسيا، الصين، إيران والهند) ضد القوى الأطلسية، إذ أن إيديولوجيا بديلة ذات نزعة محافظة [12] ثورية هي وحدها القادرة على معارضة مشروعات القوى الأطلسية الإحتكارية، فمشروع الأوراسية ينطلق من تعزيز ماضي الشعوب لكبح مشروع الحداثة وإعادة الفرد المستلب إلى الروح وإلى الجماعة وإلى الله وهي أيضا أهداف وأساسيات العقل المحافظ الروسي.

يمثل الكتاب كما أسلفنا نظرية جديدة لا غربية ولا شرقية، يطمح صاحبها أن تصير بمثابة الأديولوجية السياسية والمرجعية الفلسفية لدولة روسيا المعاصرة وتوجهاتها الإستراتيجية الكبرى تجاه العالم، وهو ما يسميه دوغين "بالأوراسية الجديدة".

وتتجلى الفكرة الأوراسية الجديدة بشكل واضح في أحد فصول هذا الكتاب المعنون: "ما هي النزعة المحافظة ؟" إذ يتحدث دوغين في هذا الفصل عن أنماط مختلفة من النزعة المحافظية، تتضمن النزعة المحافظية التقليدية أو الأصولية، والنزعة المحافظية القائمة على الليبرالية، والنزعة المحافظية الثورية، وكذا النزعة المحافظية اليسارية أو الاجتماعية.

تتميز الأولى منها: "برفضها للتوجه الأساسي للتطور التاريخي"، هذه وجهة نظر تقول إن: " فكرة التقدم هي فكرة سيئة، وفكرة التطور التكنولوجي فكرة سيئة أيضا، كما أن العلم الوضعي المعاصر، والتعليم المعاصر، والأسس البيداغوجية، بالنسبة له أيضا أفكار سيئة، يعد كل من Rene Guenon، Leapold Ziegler

Titus Burckhardt، julius Evolو غيرهم، ممثلين حقيقيين لأشكال هذه النزعة المحافظة[13].

تضع النزعة الأوراسية نفسها مع فئة الإيديولوجيا المحافظة: "إنها تتقاسم بعضا من الخصائص مع النزعة المحافظة الأصولية (النزعة التقليدية)، ومع النزعة الثورية المحافظة (بما فيها النزعة المحافظة الاجتماعية)، إلا أنها ترفض النزعة المحافظة الليبيرالية، مثلما يشير دوغين.يضيف دوغين أن محللي الأوراسية باعتبارها فكرة سياسية أو أديولوجية سياسية، محتاجون إلى فهم السبل التي تستعيرها وتدمجها رؤى مختلفة النزاعات المحافظة، من دون الاستنتاج الخاطئ الذي يخلط بينها وبين بقية النزاعات المحافظة، والأمر الأكثر أهمية بالنسبة له، هو أنه ينبغي على هؤلاء المحللين أن يتجنبوا الخلط بين تسمية الأوراسيين والفاشيين المحافظين، فمنطق هذا الخطأ قادم من طريقة التفكير التي ترى أن: "الأوراسية ليست ليبيرالية أو شيوعية ولا بديلا عن الليبيرالية أو الشيوعية، لهذا السبب ينبغي أن تكون فاشية"، هذا عين الخطأ، وهو بالضبط ضد إدعاء دوغين بأن النظريات السياسية الثلاث: الليبيرالية، والشيوعية، والفاشية تستنفذ الخيارات التي أعلنت عنها النظرية السياسية الرابعة[14].

و هناك أفكار عديدة ذات أبعاد فلسفية وردت في كتاب دوغين هذا، كفكرته مثلا: عن الإنسان والأرض فنظرته عن الإنسان (والإنسان الروسي تحديدا) موجودة في الثيولوجيا الأرثوذكسية التي يؤمن بها دوغين فهي ترتكز على مفهوم الدازين " Dasein " كما وضعه فيلسوف الغابة السوداء الألماني مارتن هايدغير في مؤلفه" الكينونة والزمان" الذي يحمل معنى يتجاوز الوجود كدلالة للموجود نحو الوجود في حد ذاته، وعبر وعيه بوجوديته في العالم. فالنظرية الرابعة عبر مفهوم الأوراسية تكون وعيا بالوجود الجغرافي، الذي يعد الإنسان الروسي كائنا أنطولوجيا يأخذ كينونته من ذاته لا من المرجعية الخارجية (الغربية).

أما عن مفهوم دوغين للأرض، فيلاحظ اقترابه من مبادئ المدرسة العضوية الألمانية في الجيوبوليتيكا حين يعد نمطا للعيش "Staat Als Lebensform"، ويدعو إلى الدفاع عن الحدود الحيوية لأوراسيا، " فجبل صربيا مثلا يعد روحا حيوية للذاكرة الجماعية والإنتماء " على حد تعبيره، ويمكن القول في الأخير إن فكرة كتاب

EISSN: 2588-2368 _____ ISSN: 2352-975X

النظرية السياسية الرابعة بسيطة رغم أنها تبدو مركبة ومعقدة، فهي مشروع يهدف إلى تشكيل جبهة حلفاء ضد القوى الأطلسية، ومواجهة الهيمنة الأمريكية جيوبوليتيكيا وقيم الغرب حضاريا إن تبسيط الخطاب الأوراسي على هذا النحو، يجعله يتجلى ويستوعب في الحياة اليومية كممارسة، وهذا ما يسمى "بالجيوبوليتيكا الشعبية " التي تعد خطابا جغرافيا يرسم خرائط في أذهن المواطنين من خلال اللغة والتواصل والتمثلات[15].

المحور الرابع: الأزمة الأوكرانية ومخرجات الأوراسية الجديدة

خلال السنوات الأخيرة أدت مجموعة من التطورات في السياسة الدولية إلى تزايد الاهتمام بما أصبح يعرف ب: عودة السياسات الجغرافية، بعد أن دفعت نهاية الحرب الباردة إلى الاعتقاد بنهايتها، فضلا عن تزايد الاعتقاد بأن القضايا الجيوسياسية الأشد ازعاجا قد تمت تسويتها إلى حد كبير بنهاية الحرب الباردة.[16]

لكن بالنسبة للقضية الأوكرانية المعاصرة فهي تعود إلى العام 1991 مع تفكك الإتحاد السوفياتي، وحصول أوكرانيا على إستقلالها في نفس العام، وفي العام 1994، جرى توقيع "مذكرة بوداست" التي تعهدت بموجبها روسيا الإتحادية باحترام حدود أوكرانيا في مقابل تخلي كييف عن ترسانتها النووية الموروثة عن الإتحاد السوفياتي لصالح روسيا.لكن سرعان ما فرضت الحسابات الجيوبوليتيكية نفسها على شرق أروبا، مع اتجاه حلف الناتو للتمدد شرقا. فانضمت جمهوريات التشيك والمجر وبولندا للحلف، عام 1999، وبين عامي 2004 و2009، انضمت 9 دول من شرق أوروبا، بعضها من الجمهوريات السوفيتية السابقة (بلغاريا، إستونيا، لاتفيا، ليتوانيا، رومانيا، سلوفاكيا، سلوفينيا، ألبانيا، كرواتيا)، ثم لحقت بها بعد ذلك كل من الجبل الأسود ومقدونيا الشمالية.وأصبح إجمالي عدد الدول التي انضمت للحلف بين 1999 و2020 نحو 14 دولة، تشكل نحو نصف الدول الأعضاء في الحلف الذي تأسس عام 1949[17].

ولم يعد متبقيا من الدول العازلة بين روسيا والناتو سوى بيلاروسيا وأوكرانيا، وترى روسيا أن انضمام هاتين الدولتين إلى الناتو يعني حصارها داخل حدودها،

وتصاعدت مخاوفها مع مخرجات قمة الناتو التي عقدت في العاصمة الرومانية، بوخارست، عام 2008، عندما رحب الحلف بتطلع أوكرانيا وجورجيا لنيل عضويته، وهو ما كان من وجهة النظر الروسية، بمنزلة إعلان لحرب ممتدة بين روسيا والغرب، فبدأت روسيا سلسلة من المواجهات العسكرية لمنع هاتين الجمهورية من الانضمام للحلف، وكانت البداية بالحرب الروسية - الجورجية، عام 2008، وقيام روسيا بضم إقليمي أبخازيا وأوراسيا الجنوبية، ثم الحرب الروسية - الأوكرانية، عام 1014، ثم قيام روسيا بإعلان ضم شبه جزيرة القرم الأوكرانية وردا على ضم روسيا لشبه جزيرة القرم، تسارعت معدلات التعاون العسكري والأمني بين الولايات المتحدة وأوكرانيا، وتشير بعض التقديرات إلى حصول أوكرانيا خلال الفترة من 2014إلى 2021عام نحو 5.6 مليارات دولار من الولايات المتحدة تشمل أسلحة ومعدات تدريب للجيش، ودعم مكافحة التهديدات السيبرانية، بالإضافة إلى الدعم الإستخباراتي لمواجهة التهديدات الروسية عبر "مبادرة المساعدة الأمنية الأوكرانية".كما أقر حلف الناتو حزمة من المساعدات الشاملة لتعزيز الإستراتيجية الدفاعية والأمنية في أوكرانيا[18].

ومن جهة أخرى مواجهة السياسات الأمريكية فيما يخص إعادة الانتشار في عدة محاور ذات مكانة جيوسياسية كالآتي:

1- إعادة الانتشار في أوروبا والمتوسط: في 8 مارس 2021، دخلت مجموعة من سفن أمريكية للبحر المتوسط عبر مضيق جبل طارق، تنتمي لأسطول العمليات السادس الأمريكي. وفي نهاية فبراير 2021 أنزلت أمريكا وحدات من القسم الأول مشاة ضمن فرقة الطيران القتالي، في ميناء اليكساندر بوليس شمالي اليونان، للمشاركة ضمن عمل القوات الأمريكية الجوية الموجهة لمساندة أوروبا وافريقيا، والمسؤولة عن الأصول المرتبطة بالطيران الأمريكي في المنطقة، تنفيذا للقرار الأمريكي الأوروبي بخصوص الوجود الروسي في أوكرانيا.

2- إعادة الانتشار في المحيطين الهادي والهندي: حيث جاء قرار انضمام المدمرة الأمريكية "يو اس اس رافائيل بيرالتا "الى حاملة الطائرات "يو اس اس رونالد ريغان "وسفينة القيادة بالأسطول السابع الأمريكي في ميناء "يوكوسوكا" الياباني

EISSN: 2588-2368 _____ ISSN: 2352-975X

مؤشرا على أن الولايات المتحدة تولي أهمية كبرى لمنطقة التقاء المحيطين الهادي والهندي أين تواجه الصين في صراع نفوذ على المنطقة.

3- إعادة الانتشار في منطقة الخليج العربي: وترتبط هذه التحولات في الجانب الأكبر منها بـ: "عقيدة بويتن "العسكرية حيث أكد الرئيس الروسي أنه لن يسمح لحلف شمال الأطلسي " الناتو" بالوجود على حدوده وتهديد موسكو مباشرة. لذلك طلب في "الوثيقة الأمنية توقيع اتفاقيتين منفصلتين بين موسكو وواشنطن والناتو لوضع نظام ضمانات أمنية من أجل خفض التوترات الأمنية في أوروبا، وتخلي الحلف عن أي نشاط عسكري في جورجيا وأوكرانيا، وعدم انضمامها للحلف، ووقف نشر أنظمة أسلحة هجومية في الدول المحاذية لروسيا، لكن واشنطن رفضت ذلك. فكان قرار اللجوء للعمل العسكري، لأنه يمثل- وفقا لعقيدته العسكرية " اللحظة المثالية".

وترتبط هذه التحولات في الجانب الأكبر منها بـ: "عقيدة بوتن" العسكرية حيث أكد الرئيس الروسي أنه لن يسمح لحلف شمال الأطلسي "الناتو" بالوجود على حدوده وتهديد موسكو مباشرة. لذلك طلب في " الوثيقة الأمنية توقيع اتفاقيتين منفصلتين بين موسكو وواشنطن والناتو لوضع نظام ضمانات أمنية من أجل خفض التوترات الأمنية في أوروبا، وتخلي الحلف عن أي نشاط عسكري في جورجيا وأوكرانيا، وعدم انظمامها للحلف، ووقف نشر أنظمة أسلحة هجومية في الدول المحاذية لروسيا، لكن واشنطن رفضت ذلك. فكان قرار اللجوء للعمل العسكري، لأنه يمثل- وفقا لعقيدته العسكرية- اللحظة المثالية "للضغط على الناتو والإتحاد الأوروبي لإعادة هيكلة البنية الأمنية الأوروبية، بما يتناسب ومكانة روسيا الآن، التي تختلف عنها في عام 1991[19].

فخلال الفترة من 2008إلى 2021، تبنى بوتن ما أسماه" استراتيجية استرداد النفوذ والمكانة "، التي تقوم على شن حرب هجينة شاملة على كل الجبهات، وقامت هذه الإستراتيجية على عدة مستويات، برز في إطارها:

أ- حرب سيبرانية هجومية واسعة النطاق، حيث كونت روسيا جيش إنترنت وكتائب إلكترونية لبث رسائل ومضامين تتفق والتوجهات الروسية عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وشن حملات إلكترونية سرية وكثيفة ضد بعض الدول الغربية. وهو ما تطلب العمل على تطوير القدرات الروسية في مجالات عمل وتكنولوجيا التنصت والرقابة والإعتراض والإختراق الإلكتروني، وغيرها من قطاعات ذات صلة.

ب- التدخلات العسكرية الروسية المباشرة أو غير المباشرة، كما في جورجيا 2008، وفي أوكرانيا 2014، ثم في سوريا 2015، سواء باستخدام القوات العسكرية الروسية أو عناصر من الشيشان، أو عناصر شركة "فاغنر" الروسية.

ج- تعزيز التحالفات، ويجري ذلك سواء من خلال تفعيل معاهدة الأمن الجماعي ؛حيث تدخلت القوات الروسية لقمع الاحتجاجات الشعبية ضد رئيس كازاخستان، قاسم جومرت توكاييف، في يناير /كانون الثاني 2022، أو عقد التفاهمات الاستراتيجية مع القوى الكبرى من خصوم الولايات المتحدة، مثل الصين عبر منظمة شنغهاي للتعاون.كما يجري تعزيز هذه التحالفات عبر الإرتباط بمصالح متبادلة قوية مع حلفاء الولايات في التحالف الغربي، مثل ألمانيا وفرنسا وتبادل التكنولوجيا العسكرية والتفاهمات الميدانية في سوريا مع إسرائيل، وتقاسم النفوذ مع تركيا في عدد من ملفات الحوار المشترك، ومساندة إيران في ملفاتها الإقليمية والنووية، والتوغل في مساحات استراتيجية جديدة في إفريقيا من خلال قوات فاغنر، واتباع دبلوماسية التسليح مع مصر وبعض دول الخليج العربية.

د- التطوير المتسارع للتكنولوجيات التسليحية والرقمية، وذلك من خلال التعامل على دمج التقنيات الجديدة لمضاعفة القوة في أنظمتها القديمة للتسلح، والإعلان عن مجموعة برامج لأسلحة ذات قدرة نووية رئيسية لضمان قدرتها على اختراق أنظمة الدفاع الصاروخي الأمريكية، وتطوير مجموعة من الأنظمة التي يمكنها مهاجمة الأقمار الصناعية أو تعطيل عملياتها، ويشمل التطوير أيضا تعزيز القدرات الروسية في مجالات تكنولوجيا الذكاء الإصطناعي، وتعطيل وتدمير أنظمة القيادة والتحكم الخاصة بالخصم وقدرات الإتصال، وتبني استراتيجية تعدين ضخمة لعملة البيتكون.[20]

EISSN: 2588-2368 _____ ISSN: 2352-975X

خاتمـة:

ومن خلال ما تم التطرق إليه في هذه الدراسة خلصنا إلى مجموعة من **النتائج** نذكر منها الآتي:

1- مفهـوم الأوراسـية جـاء في إطـار الصـراع بـين القـوى البريـة والقـوى البحريـة فألكسندر دوغين يوضح مدى تعلق الشعوب بأراضيها وثقافتها وحضارتها وبالتالي من الصعب السيطرة عليها والهيمنة عليها من قبل المنظومة الغربية.

2- ألكسـندر دوغـين جـاءت أفكـاره للـرد علـى الهيمنـة الغربيـة ومحاولـة طمسـها لمختلف الهويات والثقافات الأخرى، هذا من جهة ومن جهة أخرى فشل المنظومات الغربية بمختلف أطروحاتها السابقة سواء كانت ليبيرالية نازية إشتراكية...إلخ.

3- اتجاه حلف شمال الأطلسي نحو الشرق من خلال قبوله لجمهوريات الإتحاد السوفياتي السابق شكل تحديا وجوديا لروسيا خاصة بالنسبة لأوكرانيا التي يعتبرها الروسخط أحمر لايمكن تجاوزه.

4- سعي الروس إلى تشكيل جملة من التحالفات الجيوسياسية للحد من نفوذ القطبية الأحادية.

5- الأوراسية الجديدة كعقيدة لا تسعى للسيطرة والهيمنة على الثقافات الأخرى وإنما جاءت كرد فعل لحماية التواجد الأوراسي بمختلف مكوناته الحضارية والجغرافية والسياسية.

6- المساهمة في اعادة صياغة وهندسة النظام العالمي من نظام أحادي القطبية إلى نظام متعدد الأقطاب يحافظ على مصالح القوى المشكلة لهذا النظام بعيدا عن النمطية الأحادية والمركزية الغربية.

الهوامش والمراجع:

(1)- وولترلاتوير، البوتينية، روسيا ومستقبلها مع الغرب، ترجمة: فواز زعرور، بيروت، دار الكتاب العربي، 2016، ص، ص 125، 126

(2)- المرجع نفسه، ص 126.

(3)- جلال خشيب، الجيوبوليتيك الروسية الحديثة والمعاصرة، طموح النظرية وحدود التطبيق، ورقة بحثية مقدمة للنشر، مركز إدراك للدراسات والإستشارات، 2018، ص 17.

(4)- نفس المرجع، ص 9.

(5)- المرجع نفسه.

(6)- المرجع نفسه.

(7)- وولتر لاكوبر، مرجع سابق، ص 128.

(8)- جلال خشيب، مرجع سابق، ص 13.

(9)- ألكسندر دوغين، أسس الجيوبوليتيكيا، مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي، ترجمة عماد حاتم، بيروت، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط 1، 1004 ص 257.

(10)- نفس المرجع، ص، ص 14، 15.

(11)- جلال خشيب، مرجع سابق، ص 13.

(12)- فاليري كوروفين، أسس الفكر المحافظ، المنظور الروسي للمحافظة، الشؤون الغربية الأوراسية، مركز الدراسات الأوراسية ط 1، سبتمبر / أكتوبر 2021، ص 54.

(13)- جلال خشيب، مرجع سابق، ص 18.

(14)- التقرير الإستراتيجي نشرة تثقيفية دورية صادرة عن منظمة الطليعة العربية في تونس العدد 179، 2019، ص8.

(15)- المرجع نفسه، ص 9.

(16)- حمشي محمد، روسيا كقوة مراجعة للنظام الدولي، مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية، مجلد3، عدد2، ص.446

(17)- إيمان أحمد عبد الحليم، هل تتحول الحرب الأوكرانية إلى كارثة استراتيجية لموسكو، 10 مارس 2022، على الرابط: https: //bit.ly/3yAqGin. تم التصفح يوم: 25 مارس 2022.

(18) ماهيناز الباز، آليات أوكرانيا لإدارة اقتصاد الحرب مع روسيا، مركز المستقبل، 23 مارس 2022، على الرابط: https: //bit.ly/3bC1gaZ، تم التصفح يوم: 30 مارس .

(19)- تداعيات الأزمة ألأاوكرانية على الاقتصادات الأوروبية في الأمد القصير، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، 17 مارس 2022، على الرابط: https: //bit.ly/3nuMUMz تم التصفح يوم: 1 أفريل 2022.

(20)- كيفين كونولي، غزو روسيا لأوكرانيا: كيف كشف " هشاشة " السلام في أوروبا ؟، بي بي سي، 10 مارس 2022، على الرابط: http: //bbc.30fBkqV. تم التصفح يوم: 5 ماي 2022